مجلة الآداب والعلوم الإنسانية
المجلة العلمية لكلية الآداب – جامعة المنيا
المجلد السابع – ١٩٨٩
ص ص :

ظواهر فنية وموضوعية في شعر علي بن الجهم السامي

د . علي البطل
أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية
كلية الآداب – جامعة المنيا

١ / ١

راجت في بعض كتبنا القديمة قصة طريفة حول علي بن الجهم ، يتخذ منها القائلون بعمق تأثير البيئة على التعبير الشعري مستندا -على ما فيها من سذاجة- لما يذهبون إليه . تقول القصة إن عليا لدى قدومه بغداد -لأول مرة- من البادية ، مدح الخليفة بقوله:

أنت كالكلب في وفائك للوُدّ وكالتيس في قراع الخطوب

وتمضي القصة تروي كيف امتعض الحضور -كما ينبغي لحاشية أدمنت النفاق- وكيف أدرك الخليفة حسن نية الشاعر على الرغم من جفاء عبارته -إذ إنه إنما يمتاح تعبيره مما قر في وعيه من مفهومات بيئته ، بحسب ما تذهب إليه النظرية- فأسكنه قصرا بالرصافة قريبا من جسرها المشهور ، بحيث يرى الدجلة ومغانيها ويشرف منه على بغداد وغوانيها ؛ فما أمضى في مستقره الجديد كبير مدة حتى عاد إلى مدح الخليفة بقصيدته الفاخرة ، التي بهرت السامعين برقة الوصف وحضرية المشاعر :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وتظل صورة الكلب حافظ الود ، والتيس مقارع الخطوب ، وعيون المها بين الرصافة والجسر ، هي كل ما يستدعيه اسم علي بن الجهم إلى ذهن كثير من الدارسين : ممثلة شخصا بدويا جافيا رققت الحاضرة مشاعره وهذبت منطقه ؛ ثم هم لا يعرفون عنه

أكثر من ذلك . لايعرفون -مثلا- أن ابن الجهم لم يكن بدويا قط ، بل قرشي الأصل ، من بني عبد مناف ، ولد -وأبوه- بخراسان ، ثم أحضر إلى بغداد طفلا فنشأ بها كما ينشأ أبناء كبار موظفي الدولة . ولايعرفون أن بيته ذاك المشهور ، كان مشفوعا ببيت آخر لايرويه الرواة ، هو :

أنت كالدلو ، لاعدمناك دلوا

من كبار الدلا، كثير الذنوب !

كما لايعرفون أن الشاعر قالهما -وهذا ظاهر بداهة- لصديق له ، في مجلس لهو وعبث ، مما كان شائعا آنذاك في حاضرة الدولة في عصره .

وأصحاب نظرية تأثير البيئة لايروون البيت الثاني لأنه يهدم نظريتهم ، فليس يستقيم سياق الرواية المزعومة حين يقول للخليفة إنه كثير الذنوب ، حتى لو صرفناها إلى معنى الدلاء : إذ لا يقول "البدوي" شعرا فيه مثل هذه الركاكة ، وإنما يقوله شاب بغدادي يعابث صديقا له ، فيترخص في الصياغة اللغوية ، ويتبذل في المعابثة . ولكن شد ما تظلم الصورة الشائعة حقيقة شخص أو فكرة أو جماعة ، إذا روجها مغرض : محبا كان أو مبغضا . فالفكرة الشائعة التي يسيرها الغرض هي -في الغالب الأعم- اغتيال لحقيقة لايراد لها أن تعرف ، وطمس لمعالم جريمة ترتكب . ولشد ما ظلم هذا الشاعر بهذه الصورة الشائعة ميتا ، مثلما ظلمه عبث قدري قبل ميلاده ، ومثلما ظلمه تجني معاصريه ومنافسيه حيا .

ونحاول في هذه الدراسة تلمس وجه الحق -فنيا وموضوعيا- في شأن شاعر إذا لم يكن يعد رأسا من رؤوس مبدعي الشعر في عصره فهو يزاحم هؤلاء الرؤوس : يثير إعجاب بعضهم ، وحقد بعضهم الآخر . ثم هو على رأس بناء شاهق من قيم إنسانية

وأخلاقية كبيرة ، عبر عنها تعبيرا شعريا جميلا ، أعجب به كبار نقاد شعرنا القدماء ، وما زال قادرا على إثارة إعجابنا حتى الآن .

سوف نلقي ضوءا في البداية على عصر الشاعر ، وحركة التطور الاجتماعي فيه ، لنتبين موقع ابن الجهم في الدوائر المتعددة التي كونت إطارا عاما لحركته الخاصة ؛ ثم ندرس مدى توافق أو تنافر اتجاه الحركة الخاصة مع الحركة العامة للمجتمع والتاريخ ، وتأثير ذلك على وقائع حياته الشخصية ، ونتاج شاعريته فنيا وموضوعيا ؛ ثم نتوقف أمام نماذج مميزة من شعره ، لنرى إلى ما فيها من سمات خاصة تفرد بها ابن الجهم ، محاولين من خلالها الوصول إلى أسرار فن الشعر ، في إبداع هذا الشاعر الكبير .

١ / ٢

صادفت حياة ابن الجهم نقطة تقاطع خطرة في حياة الدولة العباسية ، إذ شهدت طفولته قمة الصعود والازدهار الفكري والاقتصادي - ومن ثم الاجتماعي والسياسي- ثم عاصرت كهولته بداية الانهيار والأفول(١) : ليس أفول وانهيار سيطرة بني العباس على السلطة -فحسب- ، بل ربما أفول الحضارة العربية ذاتها ؛ وانهيار قدرة العقل العربي على العطاء للحضارة الإنسانية : نتيجة اندحار الفكر المشرع على الثقافات والفلسفات العالمية ، التي أخذ يفيد منها ويعمل على تطويرها ، في مختلف المجالات الثقافية والعلمية أمام ضغط القوى التي لم يكن هذا التقدم يمثل مصلحة آنية لها .

لقد شهد ابن الجهم -طفلا ويافعا- طرفا من عصر الرشيد ، كذلك خلافة الأمين كلها . وبدأ اسمه يذكر في عهد المأمون (٢) ؛ ثم أخذ يشارك بنفسه في جهاز الدولة الإداري منذ عهد المعتصم ، وهو عهد التحول الذي اضطر فيه الخليفة إلى هجر العاصمة بغداد" ، وبناء مدينته الجديدة "سرمن رأى" أو سامراء . وإذا كنا لا نستطيع الإجابة القطعية عن سؤال يمكن طرحه هنا ، وهو : هل كانت منزلته الإدارية هي التي عرفت الخليفة به شاعرا في هذه المرحلة ، أم أن شعره هو الذي حمله إلى منصبه ؟ . إننا نميل إلى الاحتمال الأول -على الرغم مما روي من تمثل المأمون بشعره في الشطرنج ، ومن إعجابه بوصيته في الكلب ؛ إذ لم يحل المأمون ذلك على تقريب ابن الجهم كما قرب غيره من الشعراء . وجدير بالملاحظة أن المأمون كان يميل إلى الطالبيين ، وقد أشيع طعن ابن الجهم في علي كرم الله وجهه ، نتيجة مخاصمته -شخصيا- لبعض أبناء الطالبيين من جهة ، ونتيجة إعلانه أحقية بني العباس بالخلافة -سياسيا- من جهة أخرى . وكانت شائعة طعنه على الإمام عليّ من ضمن ما ظلم به ابن الجهم أيضا ، وهي شائعة كاذبة ، فهو في قصيدته التاريخية يشيد بالإمام ويمجده كما ينبغي له ، وكما ينبغي لشاعر ينتسب في بني عبد مناف- على أي حال .

لقد حملته درجة أبيه ، إذ كان صاحب شرطة بغداد أيام المأمون إلى الدخول في مراتب عمال الدولة ، فتولى مظالم حلوان العراق للمعتصم . ومن منصبه بدأ يعمل شعره في مناسبات الدولة الرسمية : مثل قصيدته الميمية في تهنئة الخليفة بفتح عمورية ، التي لا يمكن ذكرها أمام قصيدة صديقه أبي تمام ، والتي سرد فيها كثيرا من انتصارات المعتصم المشهورة على أعدائه مثل ثوارالزط ، وبابك الخرمي ، والمازيار ؛ ثم دعا فيها الخليفة إلى تولية ابنه "هرون الواثق" عهد الخلافة .

وتمضي خلافة الواثق بالشاعر دون تغير في حاله ؛ ولكن خلافة المتوكل كانت تحمل له في بدايتها صعودا كبيرا : إذ كانت قصيدته "وقائل أيهما أنور"(٣) هي البيان السياسي للعهد الجديد ، فكأنه بدأ متحدثا رسميا باسم الخليفة الجديد ؛ إلا أن هذه الخلافة كانت تحمل له وللدولة -من بعد- تحقق انهيار لم تقم لهما بعده قائمة أبدا . إذ يظل علي بن الجهم -بعد غضب المتوكل عليه- مبعدا عن الحياة العامة : إما سجينا أو مشهرا بالعقوبة، وإما مشردا خامل الذكر ؛ كما تبدأ الدولة بما نخر في بنيانها ، وبسوء إدارة المتوكل لها ، مسيرة الانهيار الذي لم يتوقف حتى انقضت خلافة بني العباس ، بل لعله لم يتوقف حتى اليوم .

١ / ٣

يبدو أن مأساة ابن الجهم كانت تتجمع خيوطها منذ أمد زمني طويل -حتى قبل أن يولد هو- : فقد نزح جده الأكبر سامة بن لؤي عن مكة قبل الإسلام بزمن ، واستوطن البحرين ، فقيل لنسله قريش العازبة ؛ وحرمهم ذلك من المشاركة في صناعة التاريخ حين جاء الله بالإسلام . ثم نزح بعضهم -مع الجيوش المجاهدة- إلى خراسان فاستقروا ثمة مع عرب الفتوح ، في مرو الشاهجان ، وبها قامت دار جده بدر ، وفيها أقام إدريس والجهم : والد علي وعمه ، إلى أن نزحا منها -في خلافة بني العباس- نحو بغداد حيث

وصلا إلى مراتب في الدولة لابأس بها .

ولقد فتح هذا النزوح الثاني بابا آخر من الظلم على شاعرنا : إذ عرف بأنه من "ناقلة خراسان" -أي النازحين منها- فكان ذلك سببا في قذف خصومه له على عهد المتوكل بأنه نبطي يدعي الانتساب إلى قريش .

شب في بغداد مولعا فيما يبدو بمخالفة السائد ، أو بالتعرض للمحن ، فقد كان يختلف إلى دروس الإمام أحمد بن حنبل الذي كانت الدولة منحرفة عنه وعن مذهبه ؛ ويميل إلى أهل الحديث ، في زمن يسوده مذهب الاعتزال الذي صار عقيدة الدولة الرسمية ، كما يختلف كل يوم جمعة إلى قبة الشعراء حيث يجتمعون فيتناشدون ما استحدث كل منهم في أسبوعه المنصرم من شعر .

وفي مصادفة من المصادفات القدرية التي يكون لها أثر كبير في تكوين جزء من شخصية الإنسان ، يلتقي -في هذه القبة- بشاب كان مقدرا له أن يكون شهاب هذه المرحلة الفنية ، هو أبو تمام -في أول عهده بحياة بغداد- فيعجب كل منهما بصاحبه : أعجب ابن الجهم بقدرة هذا الشاب العقلية ، التي تجعله يعتسف طرائق في الصياغة الشعرية لم يألفها التراث ، وبصلابة ردوده على منتقدي مذهبه في التعبير ؛ وأعجب حبيب بن أوس بما وجده في شاب متمرد من أبناء المدينة ، له أسرة ذات نفوذ لابأس به في أوساط المجتمع الذي يعد نفسه لاقتحامه . وانعقدت أواصر الصداقة بينهما حتى وفاة الطائي التي لم تتأخر كثيرا ، ولكنها لم تأت إلا بعد أن ترك في نفس ابن الجهم الشاعرة أثرا لا يمحى ، وفي ذهنه من آليات التعبير بصمة لا تخفى .

خاض ابن الجهم غمار الحياة بمحصول علمي متواضع(٤) ،إذ انصرف عن الفلسفة والكلام ، وكانا ثقافة أهل عصره ومذهب أرباب دولته ، فلم تستهوه علومهما مثلما

استهوت أخاه محمدا ؛ كما انصرف عن التحصيل المنتظم لعلوم اللغة والنحو والنقد ، مكتفيا بشذرات من مسائل الفقه والحديث ، وبقدر يسير من معرفة الشعر . إنه لم يكن يعد نفسه للجانب الثقافي من النشاط ، بل انصرفت همته إلى المناصب الإدارية منذ مطلع شبابه . وإذا كانت هذه المناصب تتطلب قدرا كبيرا من التحصيل العلمي ، كما رأينا عند أحمد بن أبي دؤاد وهو رأس من رؤوس الاعتزال ، إلا أن ابن الجهم رأي في صديقه ومنافسه محمد بن عبدالملك الزيات مثلا لايبعد كثيرا عما لديه من إمكانات ، فهو يقول له معاتبا على ما رأي منه من ترفع بعد توليه الوزارة :

أباجعفر عرج على خلطائكا وأقصر قليلا من مدى غلوائكا
فإن كنت قد أوتيت -في اليوم- رفعة
فإن رجائي -في غد- كرجائكا !!

وواتاه الغد عندما تولى المتوكل سدة الخلافة بعد أخيه الواثق ، فأعلن تخليه عن الاعتزال وتربص بأهله الدوائر ، ورفع المحنة عن أهل الحديث ، معلنا عودة الدولة إلى قول "أهل السنة والجماعة" ومذهبهم .

ونعم الشاعر زمنا -ليس بالنفوذ أو الجاه العريض فحسب ، ولكن- بالقرب من نفس الخليفة ، في صداقة كانت نفسه تنازعه إلى شيء كبير من الندية فيها . ولكن هذه الصداقة لم يكن مقدرا لها الدوام ، ليس لما في عليّ من نزوع إلى الندية ، ولكن -فيما يبدو- لعلة أساسية في طبيعة الخليفة المتوكل : فقد كان تهافت شخصيته منفذا لم يتورع أعداء ابن الجهم عن النفاذ منه لضرب مكانة الشاعر لدى الخليفة ضربة لم نقم لها من بعد قائمة ؛ كما كان منفذا لضرب المتوكل نفسه -فيما بعد- الضربة التي لم تطح به وحده ،

بل أطاحت بسلطة الدولة ذاتها على مدى ليس بالبعيد .

المهم أن ابن الجهم أبعد عن الاتصال بالخليفة ، وزج به في السجن ردحا طويلا ، ثم نفي -مسجونا- إلى خراسان ، وشهر به -على الصليب- يوما إلى الليل عاريا . إلا أن كل ذلك لم ينل من نفسه ، ولم يحطم كبرياءه ؛ فظل على صلابته التي رافقته حتى لحظة موته ، التي واتته في لحظة تعتز بها تقاليد الفروسية العربية القديمة ؛ إذ جرح جراحة قاتلة وهو ينافح لصوصا من الأعراب -هاجموا قافلة كان فيها- حين أزمع رحلته النهائية والأخيرة من بغداد ، فكانت رحلة من عالم الأحياء كله .

٢ / ١

افتتح أبو تمام تعبيرا جديدا في الشعر العربي ، يقوم على جموح الخيال ، كان ابن الجهم من أشد المعجبين به . ولربما كان أول من يندرج في سلسلة من يحاولون السير على منهج الطائي ، دون أن يفقدوا طابعهم الخاص . ففي شعر ابن الجهم نرى محاولات الإغراب التعبيري قائمة على أسلوب "بغدادي" حضري وطريف ، وأقل جموحا من شطحات صديقه البدوي الطائي . تظهر هذه المحاولات في عدد من "التيمات" المحدودة ، ولكنها كافية لتمييز أسلوب علي بن الجهم .

ولعل من أول هذه التيمات ، موضوعة : "القصيدة / الكائن" ، إذ تتجلى فكرة "القصيدة" في ذهنه في "شكل" كائن يمكن التعامل معه :

* فهي ناقة يركبها إلى الخليفة المعتصم ، آنا :

أعاذل ما أغرك بي ، إذا ما ... أتاح الليل وحشي الكلام
وعنت كل قافية شرود ... كلمح البرق أو وهج الضرام
على أعجازها قرم ، إذا ما ... عناه القول أوجز ، في تمام
شوارد إن لقيت بهن جيشا ... صرفن معرة الجيش اللهام
وإن نازعتهن الشرب ، كانت ... مداما أو ألذ من المدام
يثرن على امرئ القيس بن حجر ... فما أحد يقوم بها مقامي
إليك خليفة الله استقلت ... قلائص ، مثل مجفلة النعام
تراها -كالسراة- معممات ... إلى اللبات ، من جعد اللغام
تهاوى بين هدار نجي ... وقور الرحل ، طياش الزمام
وبين شملة تطغى إذا ما ... تهافتت المطي من السام
جزعن قناطر القاطول(٥) ليلا ... وأعراض المطيرة للمقام
فعجن بها وقد أنضى طلاها ... قران الليل بالليل التمام
وكن نواهض الأعناق غلبا ... فعدن وهن قضبان الثمام
فشبهنا مواقعها بعقد ... تساقط : من فريد أو نظام
وثرن وللصباح معقبات ... تقلص عنه أعجاز الظلام
فلما أن تجلى قال صحبي : ... أضوء الصبح ، أم وجه الإمام
فقلت : كأنه هو من بعيد ... وجلت غرة الملك الهمام(٦)

* وهي عروس لاتهدى إلا إلى الأكفاء ، وليس لها سوى المتوكل كفئا :

وقصيدة غراء .. يفنى الدهر قبل فنائها
لم تستمح أيدي الرجا ل بمدحها وهجائها
باتت تصان ، فآن أن تهدى إلى أكفائها
حتى إذا أكملت رغـب الرأي في إبقائها
خص الخليفة "جعفر بن محمد" بثنائها(٧)

* وهي آنا آخر ، امرأة صارخة في مأتم المتوكل :

أتتنا القوافي : صارخات لفقده مصلمة أرجازها وقصيدها
فقلت ارجعي موفورة ، لاتمهلي معاني أعيا الطالبين وجودها
ولو شئت لم يصعب عليّ مرامها لبعد ولم يشرد عليّ شريدها
ولو شئت ، أشعلت القلوب بشرد من الشعر ، أفلاذ القلوب وقودها(٨)

***

أما التيمة الثانية ، فهي أسلوب القسم ، "حيث يرتجل" أسلوبا غير مألوف في الأيمان ، يرتبط فيه القسم بالموضوع الذي تخلص القصيدة له : ١- فهو حين يتحدث عن حق بني العباس في الخلافة دون غيرهم من بني هاشم -وقد صار الاحتجاج لبني العباس "نمطا" يعرج عليه شعراؤهم بمناسبة وبغيرها- يقسم ابن الجهم "بمحرم البيت الحرام" :

أما و "محرم البيت الحرام" يمينا بين زمزم والمقام
لأنتما يابني العباس أولى بميراث النبي من الأنام
تجادل "سورة الأنفال" عنكم وفيها مقنع لذوي الخصام
وآثار النبي ، ومسندات صوادع بالحلال وبالحرام

مودتكم ..... تمحص كل ذنب وتقرن بالصلاة وبالصيام(٩)

٢- وهو حين يرثي المتوكل ، يقسم بالمنايا ، وهو قسم غريب على التقاليد الدينية واللغوية على سواء :

عبيد أمير المؤمنين .. قتلنه ومن شر آفات الملوك عبيدها

أما و"المنايا" ، ما عمرن بمثله القبور ، ولم تضمم عليه لحودها(١٠)

٣- وحين يتحدث في الغزل ، وتأبى الغواني عليه لكبر سنه -في رصافيته المشهورة- يقسم بالمشيب ، متذكرا لذات شبابه الفائت :

أما و"مشيب راعهن" ، لربما غمزت بنانا : بين سحر إلى نحر

وبتنا على رغم الوشاة كأننا خليطان : من ماء العمامة والخمر

فإن حلن أو أنكرن عهدا عهدنه فغير بديع للغواني .... ولا نكر(١١)

٤- وفيها ، يقسم قسما آخر طريفا ، إذ يناشد صديقيه -بما بينهم من مودة- أن يجيباه عن أسئلة واضحة الإجابة :

خليلي ما أحلى الهوى ، وأمره وأعلمني بالحلو منه ، وبالمر

"بما بيننا من حرمة" هل رأيتما أمر من الشكوى وأقسى من الهجر؟

وأفضح من عين المحب لسره ولاسيما إن أطلقت عبرة تجري!(١٢)

***

وتجيء التيمة الثالثة في ثوب حضري "بغدادي" واضح ، إذ هي ووليدة المجالسة

بين شباب العاصمة ، في حياة عابثة عبثا بريئا أو غير بريء . وهي تيمة "تضمين" القصيدة نصا شعريا أو صوتا غنائيا .

١- ففي قصيدة له يصور فارق مابين حياة بغداد المتحضرة ، وبداوة القدماء ، عن طريق تضمين صورة امرئ القيس وبعض شعره :

سقى الله باب الكرخ من متنزه إلى قصر وضاح ، فبركة زلزل
مساحب أذيال القيان ، ومسرح الحسان ، ومأوى كل خرق معذل
منازل لايستتبع الغيث أهلها ولا أوجه اللذات عنها بمعزل
منازل لو أن أمرأالقيس حلها لأقصر عن ذكر "الدخول فحومل"
إذن لرآني أمنح الود شادنا مشمر أذيال القبا ، غير مرسل
إذا الليل أدنى مضجعي منه لم يقل
[عقرت بعيري-ياامرأالقيس- فانزل](١٣)

٢- وحياة بغداد أرق وأرقى من كل ما سبقها :

ما "نجف الحيرة" الذي أصف ولاحنين ، ولاالفتي القصف
إن أوحش الربع من حنين كما [أوحش من بعد خلة سرف]
فاللهو باق ، وفي "مخارق للأسماع -من كل هالك- خلف(١٤)

٣- وهو يستعيد في أزمته ، قول أشهر تعساء التراث ، قيس بن الملوح:

أقول ، وقد عيل اصطباري من النوى
وأصبح دمع العين للشوق مرفضا

كما قال قيس حين ضاق من الهوى

فلم يستطع -في الحب- بسطا ولاقبضا

[كأن بلاد الله حلقة خاتم

عَلَيّ، فما تزداد طولا ولاعرضا(١٥)

٤- كما يضمن حوارا غنائيا -بين مغنية ومغن متعاشقين- فطن له في أحد مجالس المجون ، مقطوعة شعرية طريفة :

كلما غنى "بنان" : [اسمعي ، أو خبرينا]

أنشدت "فضل" : [ألا حييت -عنا- يا مدينا]

عارضت معنى بمعنى والندامى ... غافلونا

أحسنت - إذ لم تجاوبهم - ديار الظاعنينا

لو أجابتهم ، لصرنا آية للسائلينا!

واستعاد الصوت مولا ها ، وحث الشاربينا

قلت للمولى - وقد دارت حميا الكأس فينا :

رب صوت حسن ، ينسبت في الرأس قرونا ! (١٦)

***

وتستدعي المقطوعة الأخيرة تيمة رابعة في شعر ابن الجهم هي رسم الأشكال الكاريكاتورية ، واستعمال أساليب السخرية في الهجاء ، والتهكم على المهجو :

١- ففى هجائه لأحمد بن أبي دؤاد يصور ابنه "أبا الوليد" في صورة مثيرة للسخرية : إذ بينما لايتحدث من هم في عمره من الشباب عن المكارم والعلا ، لايتحدث هو إلا عن الطعام ، فيتمني لو مسخت قبيلته أطباقا وثريدا . وهو إذا ضحك حشرج كأنه غص بشراب :

شرها ، إذا ذُكِرَالمكارم والعلا ذَكَرَ "القلايا" مبدئا ومعيدا
ويَوَدُّ لو مسخت "ربيعة" كلها "وبنوإياد" : صَحْفَةً، وثريدا
وإذا تربع في المجالس خلته : "ضبعا" ، وخلت بني أبيه "قرودا"
وإذا تبسم ضاحكا شبهته : شَرِقاً -تعجل شُربَهُ- مزؤودا(١٧)

٢- وفي قصيدته التي يستعطف فيها الخليفة -من سجنه- ومطلعها فارٍ مترفع :

عفا الله عنك ، ألا حرمة تعوذ بعفوك أن أبعدا

يقول مصورا أعداءه من حاشية المتوكل في صورة ممضة من الخلال وفساد :

ولا عدت أعصيك فيما أمرت به ، أو أرى في الثرى ملحدا
وإلا : فخالفت رب السماء وخنت الصديق ، وعفت الندى
وكنت كعزون ، أو كابن عمرو مباح العيال لمن أولدا !
أكثر صبيان بيتي ... لكي أغيظ بهم معشرا حسدا .. (١٨)

٣- ويصور مغنيا باردا بأن غناءه كهجوم عواصف الشتاء :

كنت في مجلس ، فقال مغني القوم : كم بيننا وبين الشتاء ؟؟
فذرعت البساط ... مني إليه قلت : هذا المقدار ، قبل الغناء

فإذا ما عزمت أن تتغنى آذن الحر -كله- بانقضاء ! (١٩)

٤- ويتلقى الوزير الرهيب -محمد بن عبدالملك الزيات- بعدد من المقطوعات الساخرة الأليمة ، يصور -في إحداها- توقيعاته في المكاتبات بتعقدها ومعاظلاتها على أنها تصلح رقى للحيات ، لابلاغة لأديب ؛ ذلك لأنه -في حقيقة الأمر- لايصلح إلا ملاحا في الفرات ، أو بائعا للزيت كما كان في الماضي :

يرمي الدواوين بتوقيعات معقدات . كرقى الحيات
سبحان من جل عن الصفات بعد ركوب الطوف بالفرات
وبعد بيع الزيت بالحبات صرت وزيرا شائخ الثبات (٢٠)

٢ / ٢

يستحق عدد من قصائد ابن الجهم وقفات متأنية أمامه ، من أهمها القصيدة "الرصافية" الشهيرة ، وقصيدته التي قالها في تعذيبه على الصليب :

لم ينصبوا بالشاذياخ -صبيحة ال إثنين- : مغمورا ولامجهولا
نصبوا -بحمدالله- ملء عيونهم شرفا ، وملء صدورهم تبجيلا(٢١)

كذلك قصيدته النادرة :

ولما رمى بالأربعين -وراءه- وقارع بالخمسين جيشا عرمرما
تذكر من عهد الصبا ما تصرما وحن ، فلم يترك لعينيه مسجما
وجَرَّ خطاما أحكم الشيب عقده وقدم رجلا.... لم تجد متقدما(٢٢)

التي يخالف فيها -مخالفة موحية- عن سنن التصريع في الشعر العربي إذ يجيء دائما في مطلع القصيدة ، فهو يؤخره إلى البيت الثاني ، دالا بذلك على اضطراب مشاعره أمام غضب الخليفة عليه .

فهذه القصائد ، وغيرها كثير في شعره ، من فاخر الشعر العبي حقيقة ، ولكننا سنكتفي بالوقوف أمام قصيدة كان من الممكن أن تمثل علامة في إبداع عصرها . وهي تقف بابا وحدها في الشعر العربي : لم تنسج على منوال سابق ، وللأسف لم ينتبه أحد الشعراء لتطوير تكنيكها وتوسعة إطارها . تلك هي قصيدته في رثاء المتوكل ، وهذا نصها :

وسارية ترتاد أرضا تجودها شغلت بها عينا قليلا هجودها
أتتنا بها ريح الصبا وكأنها فتاة تزجيها عجوز تقودها
تميس بها ميسا فلا هي إن ونت نهتها ولا ان أسرعت تستعيدها
إذا فارقتها ساعة ولهت بها كأم وليد غاب عنها وليدها
فلما أضرت بالعيون بروقها وكادت تصم السامعين رعودها
وكادت تمس الأرض إما تلهفا وإما حذارا أن يضيع مريدها
فلما رأت حر الثرى متعقدا بما زل منها والربى تستزيدها
وأن أقاليم العراق فقيرة إليها أقامت بالعراق تجودها

فما برحت بغداد حتى تفجرت ... بأودية ما تستفيق مدودها
وحتى رأينا الطير في جنباتها ... تكاد أكف الغانيات تصيدها
وحتى اكتست من كل نور كأنها ... عروس زهاها وشيها وبرودها
دعتها إلى حل النطاق فأرعشت ... إليها وجرت سمطها وفريدها
ودجلة كالدرع المضاعف نسجها ... لها حلق يبدو ويخفي جديدها
فلما قضت حق العراق وأهله ... أتاها من الريح الشمال بريدها
فمرت تفوت الطرف سبقا كأنها ... جنود عبيد الله ولت بنودها
وخلت أمير المؤمنين مجدلا ... شهيدا ومن خير الملوك شهيدها
وكان أضاع الحزم وأتبع الهوى ... ووكل غرا بالجيوش يقودها
كأنهم لم يعلموا أن بيعة ... أحاطت بأعناق الرجال عقودها
فلما اقتضاها ليلة الروع حقه ... جرت سنحا ساداتها ومسودها
وباتت خبايا كالبغايا جنوده ... وفي زورق الصياد بات عميدها
بلى وقف الفتح بن خاقان وقفة ... فأعذر مولى هاشم وتليدها
وجاد بنفس حرة سهلت له ... ورود المنايا حيث يخشى ورودها
وفر عبيد الله فيمن أطاعه ... إلى سقر الله البطيء خمودها
ولم تحضر السادات من آل مصعب ... فيغني عنه وعدها ووعيدها
ولو حضرته عصبة طاهرية ... مكرمة آباؤها وجدودها
لعز على أيدي المنون اختزامه ... وإن كان محتوما عليه ورودها
أولئك أركان الخلافة إنما ... بهم ثبتت أطنابها وعمودها
مواهبها لذاتها ، وسيوفها ... معاقلها ، والمسلمون شهودها

فيالجنود ضيعتها ملوكها ... ويالملوك أسلمتها جنودها
أيقتل في دار الخلافة جعفر ... على فرقة صبرا وأنتم شهودها
فلا طالب للثأر من بعد موته ... ولا دافع عن نفسه من يريدها
بنو هاشم مثل النجوم وإنما ... ملوك بني العباس منها سعودها
بني هاشم صبرا فكل مصيبة ... سيبلى على طول الزمان جديدها
عزيز علينا أن نرى سرواتكم ... تفرى بأيدي الناكثين جلودها
ولكن بأيديكم تراق دماؤكم ... ويحكم في أرحامكم من يكيدها
ألهفا وما يغني التلهف بعدما ... أذلت لضبعان الفلاة أسودها
عبيد أمير المؤمنين قتلته ... وأعظم آفات الملوك عبيدها
أما والمنايا : ما عمرن بمثله القبور ، وما ضمت عليه لحودها
أتتنا القوافي صارخات لفقده ... مصلمة أرجازها وقصيدها
فقلت ارجعي موفورة لا تمهلي ... معاني أعيا الطالبين وجودها
ولو شئت لم يصعب على مرامها ... لبعد ولم يشرد علي شريدها
ولو شئت أشعلت القلوب بشرد ... من الشعر أفلاذ القلوب وقودها
فيا ناصر الإسلام غرك عصبة ... زنادقة قد كنت قبل أذودها
وكنت إذا أشهدتها بي مشهدا ... تطامن عاديها وذل عنيدها
فلما نأت داري و مال بك الهوى ... إليها ولم يسكن إليك رشيدها
أشاع وزير السوء عنك عجائبا ... يشيد بها في كل أرض مشيدها
وباعد أهل النصح عنك وأوغرت ... صدور الموالي واستسرت حقودها
فطل دم ما طل في الأرض مثله ... وكانت أمور ليس مثلي يعيدها

٣ / ٢

ربما كانت هذه القصيدة هي الوحيدة في بابها ، التي يقيم الشاعر بناءها على أساس مرآتين متجاورتين ، تظهر كل واحدة منظورا مخالفا للمنظر الواحد ؛ أو -إن شئنا القول- على أساس ثنائية الموضوعين المتعادلين : السحابة // مجتمع السياسة في العراق .

تقوم السحابة في -الأعلى- ، والعراق -في الأسفل- قيام تناظر في الرؤية ، وتساو في المعني : فالسحابة تمطر خيرا وتعد به ، من خلال احتمالات شر في الفعل أو النتيجة ؛ وهي سرعان ما ترتحلُ بعيدا ، دون إكمال تحقيق الخير ؛ وهذا شر في حد ذاته . وكأنها -في فعلها الاعتباطي- غانية غوية ، أو بغي لاتأبه بميثاق وعد . فهي تتأرجح بين الخير والشر ، أو بين التحقيق والإخلاف : [ترتاد أرضا تجودها ، أتتنا بها ريح الصبا ، أقامت بالعراق تجودها ، رأينا الطير ، اكتست من كل نَوْرٍ- كأنها عروس] ١١ [فتاة تزجيها عجوز "تقودها" ، أضرت بالعيون بروقها ، كادت تصم السامعين رعودها ، مرت تفوت الطرف سبقا]

وفي العراق : تعد ظواهر الأمور بالخير ، من خلال حكم خليفة صالح [فيا ناصر الإسلام] ، له حقوق مؤكدة -على جنده خاصة- ببيعة ملزمة ؛ ومن خلال قوى مخلصة للخليفة ، صادقة في ولائها له وقادرة على نصرته ؛ منهم الشاعر نفسه ومنهم آل

طاهر الأشداء "أركان الخلافة" ١١ ولكن مجتمعا مهترئا ، زائف العواطف والمواثيق كان قائما تحت السطح : [جنود عبيدالله ولّت بنودها ، وباتت خبايا كالبغايا جنوده ... وفي زورق الصياد بات عميدها ، كأنهم لم يعلموا أن بيعة أحاطت بأعناق "الرجال" عقودها] ولكنهم -إذ لم يكونوا رجالا ، بل "بغـايا"- ضيعوا خليفتهم وأسلموه إلى أعدائه .

إن سبب المأساة المباشر كان في غياب النصير : الشاعر وآل طاهر ، الشاعر برأيه وإخلاص ولائه ، وآل طاهر بقوتهم وتاريخهم في الدفاع عن بناء الدولة . ولكن على من يقع اللوم ؟ أعلى الجند الذين رأوا قائدهم يفر ففروا ؟ أم على آل طاهر ؟ أم على الخليفة نفسه ؟

إن المأساة تتحقق -في الأساس ، ولسخرية المقدير- على يد الخليفة نفسه ، وعلى يد أقرب الأقربين إليه : فالخليفة قد ركن إلى من لايصح الركون إليه [أضاع الحزم واتبع الهوى ، ووكل غِرّا بالجيوش يقودها ، وقرّب عصبة زنادقة ، وقام وزير بإبعاد أهل النصح عنه ، وأشاع عنه ما نفر الناس منه] // ولذلك سهل على "عبيده" أمر التخلص منه . وكان قتلته : من أهله [بأيديكم تراق دماؤكم ، عبيد أمير المؤمنين قتلته] .

وبتناظر فعلين : مرور السحابة وهروب الجند ، يتخلص الشاعر تخلصا يفتن الذين يعرفون قيمة "حسن التخلص" ، بوصفه من القيم البلاغية التي يحرص عليها في النقد العربي القديم ، إذ لاأيسر من الربط بين هذين الفعلين في الحركة المادية ولكن الروعة تتحقق بإضافة الحركة النفسية -إثارة للسخط والحسرة- إلى الحركة المادية -سرعة التبدد- ، في قوله :

ومرت تفوت الطرف سبقا : كأنها جنود عبيد الله وَلَّت بنودها

كما أنه يحقق إبهارا فنيا آخر من خلال التناقض بين تساوي مظهر الحركتين شكلا ، واختلاف نتيجتهما أثرا : فبهروب السحابة انقطع المطر ولكن بهروب الجند قَطَر الدم مطرا شريرا ، من جسد الخليفة ، ومن هيبة السلطة . فهو "مطر قحط" جنى التاريخ العربي والإسلامي ثماره المرة من بعد .

٣ / ١

تنقلنا هذه القصيدة من الأسلوب الصياغي للشاعر إلى منظومة القيم الأخلاقية التي عاش بها . فإنه إذا كانت "المهارة" هي الركن الأول لفن الشعر وكان "الشرف" هو الركن الثاني له ، فإن شعر علي بن الجهم يحل من هذا الركن قدرا كبيرا ، ربما زاد على قدر -أو زاد من قدر- المهارة الشعرية لديه .

لقد عاش ابن الجهم في عذاب سجون المتوكل ونفيه وتشهيره أكثر مما عاش في رغد صداقته . صحيح أن مصرع الخليفة قد بلغه وهو في طريق عودته من خراسان ، ولكنه على أي حال لم يكن عائدا إلى جوار صديقه القديم بعد أن نجح منافسوه في إبعاده نهائيا عن البلاط . ولكن ابن الجهم يواجهنا بهذا التفجع الصادق ، وهذا الألم الخالص . إنه كان يرثي قيما ومبادئ وأحلاما في شخص الخليفة الصديق ، وإن كان أساء إليه . فلم

يتذكر من الإساءة إلا ضررها العام : إذ إنها حرمت الخليفة إخلاصا كان شديد الحاجة إليه وسط زمرة المنافقين والخونة الذين أحاطوا به . إنه يتفجع لصديق قتل ، ولمبدإ انتهك ولعصر لم يعد فيه أمن :

- وخلّت أمير المؤمنين مجدلا شهيدا ، ومن خير الملوك شهيدها
- أيقتل في دار الخلافة جعفر على فرقة -صبرا- وأنتم شهودها!
- ألهفا؟ وما يغني التلهف . . بعدما

أذلت لضبعان الفلاة أسودها !

- فطل دم ، ما طل في الأرض مثله !

وكانت أمور ... ليس مثلى يعيدها

بهذا الترفع النبيل يقف ابن الجهم حائرا بين حسرة جارحة على الصديق ، وحزن عميق لما أصاب المبادئ من اختلال ، لايدري من يلوم : الجند الذين أضاعهم خليفتهم حين أسند قيادتهم لقائد جبان ، أم للخليفة الذي أسلمه جنده للقتل الغادر ؟ أم للأعوان الذين أساء الخليفة إلى نفسه باصطفائهم ؟ أم للأرحام التي يمزقها أصحابها ؟ أليس من أنسب أوصاف هذه الحالة وصف البغاء ؟ إنها هي : تلك اللحظات الآثمة من لذة قبيحة شريرة لاتنتج إلا الدمار .

لقد كان الترفع من السمات الواضحة التي تميز شخصية علي بن الجهم . لذلك فقد يترفع عن سباب من لايرى فيه ندا : لقد هجاه البحتري وأبوالعيناء وغيرهم ، فلم يجبهم ترفعا ؛ وهجاه مروان الأصغر فلم يجبه -بعد إلحاح الحاضرين- سوى ببيتين يتشخص فيهما الترفع -كيانا ماديا- للعيان :

بلاء -ليس يشبهه بلاء- عداوة غير ذي حسب ودين
يبيحك منه عرضا لم يصنه ويرتع منك في عرض مصون

أما حين تقع المهاجاة بينه وبين من يراهم أندادا له ، فقد كان ينخرط بكليته فيها ، ويجيء هجاؤه حادا ممضا ، لا يقوم في وجهه شيء . فهو يقول لبعض الطالبيين :

بني "متيم" : هل تدرون ما الخبر؟ وكيف يستر أمر ليس يستتر
حاجيتكم : من أبوكم؟ . يابني عصب شتى ، ولكنما للعاهر الحجر
قد كان شيخكم . . . شيخا له خطر لكن أمكم في أمرها نظر
ولم تكن أمكم -والله يكلؤها- محجوبة .. دونها الحراس والستر
كانت : مغنية الفتيان إن شربوا وغير ممنوعة منهم إذا سكروا
وكان إخوانه غرا ... غطارفة لايمكن اشيخ أن يعصى إذا أمروا
قوم أعفاء ، إلا في بيوتكم : فإن في مثلها قد تخلع العذر
فأصبحت كمراح الشول ، حافلة من كل لاقحة في بطنها درر
فجئتم عصبا ، من كل ناحية نوعا مخانيث ، في أعناقها الكبر
فواحد : كسروي في قراطقه وآخر : قرشي حين يختبر
ما علم أمكم من حل مئزرها ومن رماها بكم ، ياأيها القذر
قوم : إذا نسبوا فالأم واحدة والله أعلم بالآباء -إذ كثروا-
لم تعرفوا الطعن إلا في أسافلكم وأنتم -في المخازي- فتية صبر
أحببت إعلامكم : أني بأمركم وأمر غيركم -من أهلكم- خَبِر
تَفَكَّهُون بأعراض الكرام ، وما أنتم وذكركم السادات ، يا عرر

هذا الهجاء ، الذي تبقى مياسه على جباهكم : ما أورق الشجر !(٢٣)

إنه يعلم المهجو درسين : في التبصر ، وفي صياغة الهجاء ، معا . فقد كان التبصر يقضى بألا يتعرض لمثل ابن الجهم ، أما الهجاء فهو السخرية والتلعب بالمهجو وإيلامه ؛ وليس مخض سباب ، كالذي واجهه به الشعراء الذين لم يأبه بالرد عليهم .

ومن الغريب أن رجلا بصيرا بالأدب مثل ابن المعتز يرى أن ابن الجهم قد استخذى لمروان الأصغر ، وأن إجابته له ليست بشيء ؛ ويرى -في الوقت ذاته أن قصيدته في الطالبي -ويوردها نموذجا للهجاء الممض- قد جعلت الملوك يهابونه(٢٤) . دون أن ينتبه إلى هذه الحقيقة النفسية : فابن الجهم - وهو سليل عبد مناف- لم يكن يرى لنفسه ندا إلا الملوك ، لذلك فقد ترفع عن السوقة . فمن يهجو "طالبيا" بهذه الضراوة ، ومن يواجه ابن الزيات في مجده ، وحاشية الخليفة -وهو في السجن- لايعجز عن مواجهة غيرهم من عامة الناس .

٣ / ٢

في هذه المقطوعة نلمح ردا على ما شاع من هجاء بعض الطالبيين له ، من مثل :

و"سامة منا" ، فأما بنوه فأمرهم -عندنا- مظلم

أناس ، أتونا بأنسابهم خرافة مضطجع ، يحلم

فقلت لهم مثل قول النبي وأقواله كلها محكم :

إذا ما سئلت ولم تدر ما تقول ، فقل ربنا أعلم ! (٢٥)

وهذا ينقلنا إلى ما تعرض له على بن الجهم من تشويه ، بدأ بتشويه انتساب فرعه كله إلى قريش ، وانتهى بالطعن عليه هو .

لقد سمى الإمام مالك -رضي الله عنه- الكوفة "دار الضرب" ، أي موطن "سك" الأحاديث المكذوبة ونسبتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم . ولقد كانت هذه هي المرحلة الأولى في تكوين ، وبرنامج عمل ، الجهاز الدعائي الشيعي ؛ الذي صار يمارس مهمة الإرهاب الفكري لكل من لايرضون عنه ، باسم الانحراف عن آل البيت رضوان الله عليهم : مثلها مثل تهمة "معاداة السامية" التي يمارسها اليهود في الوقت الحاضر . ولقد وقع على بن الجهم في خطيئتين بحساب الشيعة : الأولى أنه لم يكن يغالي في إظهار المودة للإمام علي ، من حيث كونه متسننا ؛ والثانية : أنه هجا بعض الطالبيين . لذلك فقد بدأ الجهاز الإعلامي السري الرهيب عمله في نسج شبكة الكراهية حول الشاعر :

١- فقد بدأت الشبكة بـ"ضرب" الحديث (سامة -عمي- لم يعقب) ، أي أن بني سامة بن لؤي -قريش العاربة- ليسوا من قريش أصلا .

٢- وضمن القاعدة الشيعية العامة : أن كل الناس مشكوك في صحة نسبهم إلا عليا -كرم الله وجهه- ومن أحبه [وقد يتبادر إلى الذهن أن الشك يمكن أن يصيب وأن يخطئ ، إلا أن القاعدة تنفي الإصابة في كل حال] لذلك فإن الناس يدعون يوم القيامة إلى أمهاتهم -سترا من الله على عباده- إلا عليا وشيعته فيدعون إلى آبائهم لصحة نسبهم . ضمن هذه القاعدة لا يكون ابن الجهم لرشدة ، ولكنه يفوق الجميع بأنه لزنية وحيضة . ولكن كيف وهو ابن رئيس شرطة بغداد الرهيب؟ لقد زنى أبوه -وهو ثمل- بامه ، وكانت -كما يدعي الجهاز- في ملك أخت الجهم قبل أن يتبين حملها منه فتهبها له ،

وكانت حائضا ؛ فكان عليٌّ ثمرة : سكر وزنا وحيض !!(٢٦) .

ولكننا لو تتبعنا مصدرا مثل الأغاني -وهو متشيع- لم نجد شيئا جادا يبرر هذه الكراهية التي يبدونها نحوه ، إذ ليس في ديوانه ما يفيد طعنا في الإمام كرم الله وجهه . يقول أبو الفـرج(٢٧) : وكان ينحو نحو أبي حفصة في هجاء آل أبي طالب ، وذمهم ، والإغراء بهم ، وهجاء الشيعة . وهو القائل :

ورافضة تقول بشعب رضوى إمام . خاب ذلك من إمام

إمامي من له سبعون ألفا من الأتراك ، مشرعة السهام

وكان ذلك أكبر ما أورده أبوالفرج من : "هجاء آل أبي طالب وذمهم والإغراء بهم وهجاء الشيعة" . فإذا ما عرفنا أن للشيعة طعنا أكثر صرامة على أتباع "محمد بن الحنفية" رأينا كم تتهافت هذه الدعوى العريضة التي يدعيها أبوالفرج ؛ ولكنها ضراوة الجهاز السري وإرهابه .

أما رأي ابن الجهم في الإمام صلوات الله عليه ، فهي لاتكون إلا على مايكون عليه رأي مسلم سني ، يحترم الإمام ويعرف فضل قرابته وفضل جهاده في الله . فهو يقول عنه في منظومته التاريخية ، ذاكرا خلافته وفضله واستشهاده :

وفُوِّضَ الأمر إلى عليّ الهاشمي ،الفاضل ،الزكي

فقام بالأمر سنين أربعا وتسعة من الشهور شُرَّعا

ثم مضى مستشهدا محمودا عاش حميدا ومضى مفقودا

وكان هذا.. عام أربعينا منها انقضت من عدة السنينا

وانتقل الأمر عن المدينة وكان حقا ما روى "سفينة"

عن النبي في ولاة الأمة من الملوك ، ومن الأئمة(٢٨)

فهو يوفيه حقه على مايفعل أهل السنة والجماعة ، في حكم موضوعي محايد . بل وهو حين يذكر معاوية فإنه يذهب فيه المذهب الموضوعي نفسه . فلم يقع فيه -على مايرضي خلفاء بني العباس- بل يذكره مجرد الذكر ، ولايرفعه إلى مقام الإمام علي كرم الله وجهه ؛ ولكنه حين يذكر يزيد ابنه يطعن عليه بما يستحق : لقتله الإمام الحسين رضوان الله عليه .

وهكذا نرى ابن الجهم سنيا ملتزما معتدلا ، ولكن الاعتدال لايوافق هوى أحد في زمن كانت سمته التطرف والمغالاة . أليس هو زمن الخبال كما صوره ابن الجهم نفسه ؟

هوامش

١- لتفصيل تطورات الأحداث في هذه المرحلة ، راجع دراستنا عن : معالجة إشكالية القديم والجديد في الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي علي بن عبد العزيزالجرجاني ، حتى ص:٢٠ ، وللتعريف بالشاعر راجع :

أ- ابن المعتز : طبقات الشعراء ، ص.ص: ٣١٩-٣٢٢ ، وص: ٣٩٢ ضمن ترجمة مروان الأصفر ، و ص: ٤١٥ ضمن ترجمة أبي العيناء .

ب- ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٣ - ص.ص: ٣٥٥ .

ج- أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني - ج٩ ص.ص: ١٠٤-١٢٠ .

د- المسعودي : مروج الذهب ، ج٤ - ص.ص:١٢٨-١٣٢ ، ١٤٣-١٤٥ .

٢- خليل مردم : مقدمة تحقيق الديوان . وقد سمع المأمون بشعره فسأل عنه أخاه محمد بن الجهم ، الذي لم يكن يروي لأخيه الكثير . إلا أن المأمون كان فيما بعد كثيرا ما يتمثل بشعر لابن الجهم في الشطرنج ، حتى نسب هذا الشعر للمأمون . راجع الوفيات : الموضع نفسه.

٣- راجع ديوانه: ص.ص:٧١ وما بعدها ، وإن كان المحقق يرى أن قصيدته قالوا أتاك الأمل الأكبر -ص:٢٦ وما بعدها- هي التي تمثل خطاب العرش ؛إلا أننا نعتقد أنه وهم في ذلك فليس في القصيدة شيء من بيان سياسة المتوكل ، إنما القصيدة التي أشرنا إليها هي التي تحمل تقريرا عن تلك السياسة ؛ ولعله قالها بعد مدة من ممارسة الخليفة الجديد لسلطاته .

٤- على الرغم من امتداح المسعودي وابن رشيق وصاحب الوفيات معرفته بالشعر ، إلا أنه كان يترخص كثيرا في النحو ، وكثيرا ما تشوب شعره -كما سنرى من بعد- رخاوة لاتكون إلا عن قلة معرفة بقواعد النحو خاصة ، لذلك فنحن نحمل إبداعه في هذا المديح على ذوقه المرهف وحساسيته الفطرية ،

لاعلى بصره بالشعر واللغة .

٥- القاطول نهر عند سامرا ، بنى المتوكل قصره المسمى "بالجعفري" على شاطئه ، وهو القصر الذي قتل فيه . والمطيرة قرية بجانب سامرا .

٦- ديوانه ص.ص: ٦-٨ .

٧- نفسه ص.ص: ٣٨-٣٩

٨- ٦٣

٩- ص.ص: ١١-١٢

١٠- ص: ٦٣

١١- ١٤٤-١٤٥

١٢- الموضع نفسه .

١٣- ص.ص: ٥٥-٥٦

١٤- ص.ص: ١٥-١٦ وهامشها ، وهو يشير فيها إلى قول "حنين الحيري" ،المغني المشهور أيام الأمويين:

أنا حنين ، ومنزلي النجف وما نديمي إلا الفتى القصف

وإلى صوت مشهور هو :"أوحش من بعد خلة سرف" تجده في الأغاني .

١٥- ص.ص: ٤٨-٤٩

١٦- ص: ١٨٥

١٧- ص: ١٢٦

١٨- ص: ٧٩-٨٠

١٩- ص: ١٠٣

٢٠- ص: ١١٩

٢١- ص: ١٧١

٢٢- ص.ص: ١٩-٢٠

٢٣- ص.ص: ١٣٣-١٣٥

٢٤- نفسه ، المواضع نفسها .

٢٥- مروج الذهب ، الموضع نفسه .

٢٦- جاءت القصة في كتاب محدث يدعي مراسلات بين أحد شيوخ الأزهر في العصر الملكي وأحد مراجع الشيعة ، يقف فيه "الشيخ" موقف التلميذ المبهور بعلم "المرجع" ، ويستزيده فيه من سب أم المؤمنين عائشة والطعن على كبار الصحابة . وهو أشبه بما يروجه العامة -في أيامنا- عن تنصر مشايخ ، وإسلام كرادلة .

٢٧- الأغاني ، نفسه ص: ١٠٥

٢٨- ديوان ابن الجهم ص.ص: ٢٤٤-٢٤٥ .

المراجع :

* ابن خلكان : وفيات الأعيان ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة - بيروت ، د.ت. [المقدمة ١٩٧٠] .

* أبوالفرج الأصفهاني : الأغاني ، طبعة بولاق . د.ت.

* عبدالله بن المعتز : طبقات الشعراء ، تحقيق عبدالستار فراج ، دارالمعارف - القاهرة ١٩٦٨ .

* علي البطل : معالجة إشكالية القديم والجديد في الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني . بحث في ندوة قراءة جديدة لتراثنا النقدي - نادي جدة الأدبي الثقافي ، عام ١٩٨٨ . * على بن الجهم : ديوانه ، تحقيق خليل مردم بك ، دارالآفاق الجديدة - بيروت ١٩٨٠ .

* المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق الدكتور محمد مفيد قميحة ، دارالكتب العامة - بيروت ١٩٨٦ .